أسلوب الاستفهام في قصة نبي الله نوح عليه السلام

د. عواطف أمين يوسف البساطي

أستاذ التفسير المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين

قسم الكتاب والسنة – جامعة أم القرى

ملخَّص البحث:

يطمح هذا البحث إلى دراسة أسلوب الاستفهام دراسة تفسيرية بلاغية في قصة نبي الله نوح -عليه السلام- وبيان خصوصية استعمالات أدوات الاستفهام من خلال التواصل الحواري بين عناصر القصة -نوح عليه السلام، قومه، ابنه- وتكفّل البحث بتتبع وعرض أدوات الاستفهام وبيان أغراضها في قصة نبي الله نوح -عليه السلام-؛ حيث لم يرد الاستفهام إلا في السور المكية من القرآن غالباً، مرتباً حسب ترتيب الورود في المصحف الشريف؛ وهي محاولة لتقريب القصة وبيان أهدافها من خلال أغراض الاستفهام فيها التي كانت في أغلبها استفهامات إنكارية لحصول التصادم بين أطراف القصة.

وقد أظهرت القصة التسلسل المنطقي والعقلي الذي سلكه نبي الله نوح مدة دعوته قومه لأجل تحقيق الغاية العظمى والهدف الأسمى وهو الهداية إلى الحق وتثبيت العقيدة متجرداً من حظوظ نفسه مبتغياً وجه ربه الأعلى.

وإني لأجد نفسي خاصة والمسلين عامة إلى انتهاج مثل هذا النهج الحواري القرآني يضيء حياتي ويسلك مسلك الهداية إلى الهدى والنور.

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾.

الكلمات الافتتاحية: الأسلوب، الاستفهام، القصة.

المقدِّمة:

الحمد لله الرحيم الرحمن، خلق الإنسان علمه البيان، وفضله على سائر الحيوان بالعقل واللسان، أنزل القرآن ليكون هادياً له من الضلال، مخلصاً من النيران، قائداً إلى الجنان، والصلاة والسلام على من رسالته رحمة للأنام، سيد ولد عدنان، نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

أما بعد:

فإن الوصول إلى معنًى ما أو مقصود كلام بعينه بطريقة الاستفهام من أجمل الطرق وأمتعها إذ الاستفهام عادة ما يتصدّر الكلام بجمعه بين لين الخطاب واستعلاء الطلب، وهو متقلب بين الموضوع له تارةً، وأخرى يُستعمل لغير ما وُضع له، وهو من أحسن الأساليب البلاغية في تأدية المعنى وتوصيل المراد وبخاصة في كتاب الله الذي أنزله ربنا -تعالى- لتحقيق هذا المعنى -فهمِ معانيه- كما قال -تعالى-:﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[1]، وهو وحي الله في أرضه كما قال -تعالى-:﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ...﴾[2]،وهو نور الله أنزله بعلمه من السماء إلى الأرض ليخرج الناس من الظلمات إلى النور كما قال -تعالى-:﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ

(١)سورة ص، الآية (٢٨).

(٢)سورة الرعد، من الآية (٣٠).

لِنُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ... ﴾[1]، وجعله بمنِّه شفاءً ورحمة للمؤمنين كما قال – تعالى-: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ...﴾[2]،وتبياناً لكل شيء كما قال – تعالى-:﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[3].

والقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة إلى قيام الساعة، لا يبلى ولا تنقضي عجائبه لما سمعته الجنّ ما تمالكت إلا أن آمنت به، قال –تعالى-: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾[4]، ولم تكتفِ الجن بذلك بل ولَّوا إلى قومهم منذرين كما قال –تعالى- في خبرهم: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ...﴾[5].

أنزله ربنا على نبيه– صلى الله عليه وسلم – الذي لا ينطق عن الهوى من فوق سبع سموات بواسطة جبريل الأمين عليه السلام كما قال –تعالى-: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾[6]، فلما أدهش العربَ –أفصحَ خلق الله في أرضه– ببيانه، وأعجزهم عن الإتيان بسورة من مثله نسبوه إلى السحر بقولهم : ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا

(١)سورة إبراهيم، من الآية (١).

(٢)سورة الإسراء، من الآية (٨٢).

(٣) سورة النحل، الآية (٨٩).

(٤) سورة الجن، الآية (١).

(٥) سورة الأحقاف، من الآية (٢٩).

(٦) سورة الشعراء، الآيات (١٩٢-١٩٥).

سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾[1].

تلاوته أربح التجارات على الإطلاق، وعد من الحكيم الكريم بقوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا ..﴾[2]، وثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:«**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف، بل ألف حرف وميم حرف ولام حرف**»(٣)،وعنه-صلى الله عليه وسلم- أنه قال:«**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاقٌّ، له أجران**»[4].

والقرآن العظيم الذي اختاره ربنا ليكون كتاب الحياة، وتكفل هو -سبحانه- بحفظه، تنوعت فيه أساليب التبليغ مراعاة حال المخاطبين به الذين أنزل إليهم،ومن يأتي من بعدهم

(١) سورة المدثر، الآية (٢٤).

(٢) سورة فاطر، من الآية (٢٩).

(٣)أخرجه الترمذي بسنده عن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- كتاب الأدب، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، حديث (٢٩١٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)، ط٢.

(٤)أخرجه مسلم بسنده عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل الماهر في القرآن، والذي يتتعتع فيه، حديث (٢٤٤). أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

إلى قيام الساعة؛ ومن الأساليب التي أخذت حيّزاً واسعاً في كتاب الله الكريم القصة القرآنية، وهي من أجمل وأسرع أساليب الدعوة إلى الله لما تحتويه من معانٍ كثيرة بعبارات وجيزة، ومقتضاه الأعظم والأهم تثبيت قلب النبي الخاتم-صلى الله عليه وسلم- وإبعاده عن اليأس، كما قال -تعالى-: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ... ﴾[1]، وجاءت قصص الأنبياء في القرآن الكريم للاعتبار والاتعاظ والاستفادة مما فيها من مواعظ وعبر، وهذا ما يميزها عن القصص التاريخي كما قال -تعالى-:﴿... فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

وقصة نبي الله نوح -عليه السلام- من أمتع القصص القرآني، تنوع ورودها في المصحف بين تفصيل جاء متصدّراً قصص الأنبياء في سورة (هود)، وتارة متوسطة كما في السورة المسماة باسمه -عليه السلام-، وتارة موجزة كما في سورة الأعراف.

فلما وجدتُّ أسلوب الاستفهام شائقاً، وأغراضه بديعة رائعة، اخترت دراسته من خلال قصص القرآن الكريم، وبخاصة قصة الأب الثاني للبشرية نبيِّ الله نوح -عليه السلام- بهذا العنوان:(**أسلوب الاستفهام في قصة نبي الله نوح عليه السلام**).

أهمية الموضوع وأسباب اختياري له:

(١)سورة هود من، الآية (١٢٠).

(٢)سورة الأعراف، من الآية (١٧٦).

(١) أسلوب الاستفهام من أهم الأساليب الإنشائية التي تبرز بلاغة القرآن الكريم، وتكشف عن بعض أسرار إعجازه.

(٢) هذا الموضوع -أسلوب الاستفهام في قصة نبي الله نوح عليه السلام- يقدّم أعظم النماذج في أساليب الدعوة إلى الله وطرقها وخصائص الداعية الناجح؛ لتكون حذواً يُحتذى، ونورًا يُستضاء به.

(٣) التركيز على موضوع مهم من القرآن الكريم؛ ألا وهو القصة القرآنية، بما تحمله من معانٍ وأهداف، كما قال -تعالى-: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ... ﴾[١].

(٤) تعد القصة القرآنية أبرز الأساليب القرآنية في شرح الإسلام وبيان رسالته السامية.

(٥) سياق القصة القرآنية يدعو النفوس إلى التأسي وأخذ العبرة والعظة منها، كما قال -تعالى-: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٢].

(٦) القصة القرآنية عادة ما تخاطب الوجدان خطاباً مثيراً له مستحثًّا للفطرة، وهي من أهم وسائل الدعوة إلى الله -تعالى-.

(٧) القصة مَعلم بارز من مَعالم القرآن الكريم لتوضح الحقائق وإزالة الشبهات: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[٣].

---

(١)سورة يوسف، من الآية (٣).

(٢)سورة الأعراف، من الآية (١٧٦).

(٣)سورة النمل، الآية (٧٦).

(٨) حياة الأنبياء هي محور القصص، وهم موضع القدوة والأسوة:﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[1].

(٩) قصة نوح -عليه السلام- مثال للصبر وانتظار الفرج بعده، وإن طال العسر وكثر الحزن إلا أن العاقبة للمتقين.

(١٠) تقرر هذه القصة أنّ أصل العلاقات الإنسانية والقرابات الإسلام.

الدراسات السابقة:

حظي موضوع الاستفهام بدراسات كثيرة، منها:

(١) الاستفهام في سورة آل عمران أغراضه ودلالاته، ماجد محسن راشد، جامعة واسط(١٤٣٠هـ-٢٠١٠م).

(٢) أدوات الاستفهام واستعمالاتها في سورة آل عمران ،خير الدين نشر نادي الأدب ١٤٢٦هـ

(٣) أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم،غرضه وإعرابه،عبد الكريم محمود يوسف،مطبعة الشام - دمشق،سوريا،عام ١٤٢١هـ-٢٠٠م.

(٤) الاستفهام في سورة يوسف،دراسة لسانية تداولية،أحمد مزاوغي.

(٥) الاستفهام في سورة النحل دراسة تحليلية تداولية أفعال الكلام،إعداد زين

(١)سورة الأنعام، من الآية (٩٠).

الأفندي،كلية العلوم الإنسانية والثقافة، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية ملانج(١٤٣٢هـ-٢٠١١م).

(٦) أساليب الاستفهام في البحث البلاغي وأسرارها في القرآن الكريم اعداد محمد إبراهيم محمد شرف البلخي/ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،عام ٢٠٠٦-٢٠٠٧م.

(٧) أسلوب الاستفهام في قصة إبراهيم -عليه السلام- دراسة نحوية بلاغية، سارة بو فامة، جامعة الأمير عبد القادر / كلية الآداب والحضارة الإسلامية (١٤٣٥هـ-٢٠-١٤م)، الجزائر.

(٨) تقدير الاستفهام في القرآن، إعداد د.محمود بن عبد الجليل روزن، مجلة تبيان للدراسات القرآنية، العدد (٢٥) عام ١٤٣٧هـ.

(٩) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، المطعني.

(١٠) الاستفهام لأحمد البقري، معالجة نحوية، لغوية.

(١١) همزة الاستفهام في القرآن الكريم، تأليف: عبد الرؤوف سعيد عبدالغني البابيدي، عمان (١٤١٢هـ-١٩٩٠م).

(١٢) بنية التشكيل الصوتي لأسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، تارا فائز سعيد، جامعة صلاح الدين،كلية التربية والعلوم الإنسانية، أربيل (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

(١٣) بلاغة الاستفهام ودلالته في القرآن الكريم، رجدال حليمة،جامعة وهران(١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).

(١٤) الدلالات العقدية لأساليب الاستفهام في القرآن الكريم،منى عبدالرحمن إبراهيم

السنيفي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض(١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

(١٥) الاستفهام وتداعيات الرؤية المقاربة في السياق القرآني، سالم علي بيدق(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

أسئلة البحث:

(١) ما الاستفهام؟وما أدواته؟

(٢) ما أغراض الاستفهام في قصة نوح -عليه السلام-؟

أهداف البحث:

(١) يسعى البحث إلى بيان ماهية الاستفهام وأدواته.

(٢) الإشارة إلى أغراض الاستفهام في قصة نبي الله نوح -عليه السلام-.

(٣) بيان منهج نبي الله نوح في دعوته لقومه باستخدام بأسلوب الاستفهام من خلال القصة.

هيكل البحث:

يشتمل البحث على مقدمة تمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

- **المقدمة**: فيها الحديث عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له والدراسات السابقة وأسئلة البحث، وأهداف البحث، وخطة البحث، ومنهج البحث.
- **التمهيد**: التعريف بمصطلحات البحث
- الأسلوب، الاستفهام، القصة.

- **المبحث الأول: أدوات الاستفهام وأغراضه ودلالاته** .. ويشمل مطلبين:
- **المطلب الأول**: أدوات الاستفهام.
- **المطلب الثاني**: أغراض الاستفهام.
- **المبحث الثاني: أغراض الاستفهام في قصة نبي الله نوح -عليه السلام- من خلال سور القرآن الكريم التي وردت فيها القصة**، ويشمل المطالب الآتية:
- **المطلب الأول**: بين يدي القصة.
- **المطلب الثاني**: أغراض الاستفهام في قصة نوح في سورة الأعراف.
- **المطلب الثالث**:أغراض الاستفهام في قصة نوح في سورة هود -عليه السلام-.
- **المطلب الرابع**: أغراض الاستفهام في قصة نوح في سورة المؤمنون.
- **المطلب الخامس**: أغراض الاستفهام في قصة نوح في سورة الشعراء.
- **المطلب السادس**: أغراض الاستفهام في قصة نوح في سورة نوح -عليه السلام-.
- **الخاتمة**: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.
- الفهارس:

قائمة المصادر والمراجع.

منهج البحث:

- سلكت في هذا البحث المنهج الوصفي الذي يعتمد على جمع البيانات وتحليلها، ثم تصنيفها

وتناولته من جانبين:

- الجانب النظري؛ وهو حول ماهية الاستفهام.
- والجانب التطبيقي على قصة نبي الله نوح -عليه السلام-.

- اعتمدت في عرض عناصر البحث ترتيب المصحف الشريف بالاقتصار على السور المكية دون السور المدنية.
- اعتمدت فيه على المصادر الأصيلة؛ من المعاجم اللغوية، وكتب البلاغة، والتفاسير القيمة، وما يحتاج إليه البحث من غيرها من الكتب.
- أما التفاسير فكان جلّ اعتمادي في بيان المعنى على التفاسير السلفية المشهورة؛ كتفسير إمام المفسرين أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وتفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير الدمشقي، وتفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، وتفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، أما جانب التحليلات اللغوية فجلُّ الاعتماد على تفسير الكشاف للزمخشري، والبحر المحيط لأبي حيّان، وروح المعاني للإمام الآلوسي، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود، وتفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، وتفسير التحرير والتنوير للإمام الشيخ الطاهر ابن عاشور.. ولم أستغنِ عن غيرها من كتب التفسير.
- اقتصرت الدراسة على رواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي عن عاصم بن أبي النجود الكوفي، ولم أتطرق إلى غيرها من القراءات.
- نسبة الأقوال إلى أصحابها، والتعقيب على ما استحق التعقيب.

- تخريج الحديث بذكر من أخرجه والحكم عليه.
- عزو ما احتاج إلى عزو من آية قرآنية، أو قول لأهل العلم.
- ختم البحث بقائمة المصادر والمراجع.

هذا ما يسره الله -عزوجل-، إياه أسأل أن يباركه ويتقبله بمنه وإحسانه وينفع به.

التمهيد

التعريف بمصطلحات البحث

(١) أسلوب.

(٢) الاستفهام.

(٣) قصة.

أولاً: الأسلوب.

الأسلوب في اللغة: يدور حول معنى: الطريق، والفن، والوجهة، والمذهب[١].

والمراد بالأسلوب اصطلاحاً: هو الطريق الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأدية معانيه

(١)أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي،المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م)، ط٢،ج: ٨، ص: ٥٠٥، وانظر: أبو القاسم الزمخشري جار الله، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م)، ط١،ج: ١، ص: ٤٦٨، وأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، (بيروت: المكتبة العلمية)، ج: ١، ص: ٢٨٤، ومحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، نحقيق مجموعة من المحققين، (دار الهداية)ج: ٣، ص: ٧١، ومحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، (بيروت: دار صادر)، ط١،ج: ١، ص: ٤٧٣.

ومقاصده من كلامه، أو هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم[1].

ثانياً: الاستفهام:

الاستفهام في اللغة: هو من أنواع الإنشاء الطّلبي، والأصل فيه طلَبُ الإِفْهامِ والإِعْلاَمِ لتَحْصِيلِ فائدةٍ عمليّةٍ مجهولةٍ لدَى المُستَفْهِم[2].

وقيل:هو طلب الفهم، وهو بمعنى الاستخبار.

وقيل: الاستخبار ما سبق أولًا ولم يفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً[3].

الاستفهام في الاصطلاح: استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين أو عدم وقوعها فحصولها هو

(١)مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، (بيروت: المكتبة العلمية)، ج: ٣، ص: ٢٤٤.

(٢)عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، البلاغة العربية، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، ط١.ج: ١، ص: ٢٥٨، وأبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م)، ط١.ج: ٢، ص: ٣٢٦.

(٣)عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)،ج:٣، ص: ٢٦٧، والدكتور محمد بن عمر بازمول،تهذيب وترتيب الإتقان في علوم القرآن، (السعودية: دار الهجرة)، ص: ٣١٠.

التصديق وإلا فالتصور[1].

وعُرّف بأنه:طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل-وذلك بأداة من إحدى أدواته الآتية- وهي: الهمزة، وهل، وما، ومتى، وأيَّان، وكيف، وأين، وأنَّى، وكم، وأيّ[2].

وأساليب الاستفهام في القرآن على ضربين:

(أ) أساليب حكاها القرآن عن البشر، فمنها ما هو على الحقيقة؛ كما هو واضح في سورة البقرة عند ذكر قصة البقرة:﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا...مَا لَوۡنُهَاۚ ﴾[3]، ومنه ما هو بلاغي؛ كقوله -تعالى-: ﴿يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ﴾[4].

(ب) أساليب يخاطب الله -تعالى- بها مخلوقاته، وغالب هذا لا يكون إلا على الحقيقة، كما قال -تعالى:﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾[5].

ثالثاً: القصة:

تعريف القصة في اللغة: يدور معنى القصة في اللغة حول تتبع الأمر وحفظه وبيانه والإخبار

(١)علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٠٣هـ -١٩٨٣م)، ط١، ص: ٥٩.

(٢)أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، (بيروت: المكتبة العصرية) ص: ٧٨.

(٣)سورة البقرة، من الآيات (٦٨، ٦٩،٧٠).

(٤)سورة القيامة، الآية (١٠).

(٥)سورة القلم الآية (٣٦)، وانظر: محمد عمر بازمول، تهذيب وترتيب الإتقان في علوم القرآن، ص: ٣١٠.

به(١). **والقصة**: الشأن والأمر، كما يُقال: ما قصتك؟ أي: ما شأنك(٢)؟ **والقصص**: إتباع الخبر بعضه بعضًا، وأصله في اللغة المتابعة، قال -تعالى-: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾(٣)،أي اتبعي أثره، وقال -تعالى-: ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾(٤)،أي: اتباعًا، وإنما سُميت الحكاية قصصًا لأن الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئًا فشيئًا، كما يقال: تلا القرآن إذا قرأه؛ لأنه يتلو، أي: يتبع ما حفظ منه آية بعد آية(٥).

وقصص القرآن اصطلاحاً:إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة(٦).

والقصة في القرآن: هي تتبع أحداثٍ ماضيةٍ واقعةٍ، يعرض فيها ما يمكن عرضه، ومن هنا جاءت تسمية الأخبار التي جاء بها القرآن قصصاً، مما يدخل في المعنى العام لكلمة (خبر) أو

(١)ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم ج: ٦، ص: ١٠١،وابن منظور، لسان العرب، مادة (قصص)،ج: ٧، ص: ٧٤، والراغب الأصفهاني،مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق عدنان الداودي، (دمشق: دار القلم، بيروت، الدار الشامية)

(٢)أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير، ج: ٢، ص: ٦٩٤.

(٣)سورة القصص الآية (١١).

(٤)سورة الكهف الآية(٦٤).

(٥)أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ط٢،ج: ١٢، ص: ٦٩.

(٦)مناع خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص: ١١٩.

(نبأ)(١).

أو هي: وسيلة للتعبير عن الحياة، أو قطاع معيّن من الحياة يتناول حادثة واحدة أو عدداً من الحوادث بينها ترابط سردي، ويجب أن يكون لها بداية ونهاية(٢).

القصة في القرآن الكريم تتحدث عن أمور وقعت فعلاً، وهي أسلوب قرآني يحمل عظات وعبراً، يتضمن البشارة والنذارة.

ومن خصائص القصة القرآنية:

(١) الإيجاز المعجز؛ حيث تورد أخباراً كثيرة بليغة في مقطع قصير.

(٢) اشتمالها على المعجزات والخوارق، فلكل رسول معجزة تؤيده وتؤكد حقيقة مبعثه.

(٣) بيان عقيدة التوحيد والبراهين عليها.

أنواع القصة القرآنية:

القصة في القرآن الكريم على ثلاث أنواع:

(أ) قصص الأنبياء، وتتضمّن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزة، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها، وعاقبة المؤمنين والمكذبين.

(ب) قصص قرآني متعلق بحوادث غابرة وأشخاص اختُلف في نبوتهم،كقصة طالوت وجالوت،وأصحاب الكهف، وذي القرنين...وغيرهم.

(ج) قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛

(١)الشيخ ياسر بن حسين برهامي،القصص القرآني، ص: ٣.

(٢)محمد كامل حسن، القرآن والقصة الحديثة، (الكويت: دار البحوث العلمية)، ط١، ص: ٩.

كهجرته -عليه السلام-،وغزواته،والإسراء.

محاور قصة نبي الله نوح -عليه السلام-: تدور قصة نبي الله نوح -عليه السلام- حول محورين؛ هما: **المرسَل**: وهو نبي الله نوح -عليه السلام-. **المرسَل إليهم**: وهم الملأ أو القوم.

المبحث الأول

أدوات الاستفهام وأغراضه ودلالاته في قصة نوح

المطلب الأول: أدوات الاستفهام الواردة في قصة نوح -عليه السلام-

الأداة:هي عنصر محوّل للجملة من الخبر إلى الإنشاء غالباً[1].

أقسام أدوات الاستفهام[2]:

للاستفهام جملةٌ من الأدوات، وهي تقع في ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يُسْتَفْهَمُ به عن التصوُّر والتصديق، وهو (همزة الاستفهام) فقط، وهي حرفٌ لا يكون له محلٌّ من الإِعراب في الجملة.

القسم الثاني: ما يُستَفْهَمُ به عن التصديق فقط، وهو لفظ (هَلْ)، وهي حرفٌ أيضاً، لا يكونُ له محلٌّ من الإِعراب في الجملة.

(١)عماد يحيى، البِنى والدلالات في لغة القصص القرآني .. دراسة فنية، (عمان: دار دجلة، ٢٠٠٩م)، ط٢، ص: ١٧٩.

(٢)عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، البلاغة العربية،ج: ١، ص: ٢٥٨، وحامد عونى، المنهاج الواضح للبلاغة، (مصر: المكتبة الأزهرية للتراث)،ج:٢، ص: ٩٥، وعبد العزيز عتيق، علم المعاني، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م)، ط١، ص: ٨٨، والخلاصة في علم البلاغة، ص: ١١.

القسم الثالث: ما يُسْتَفهَمُ به عن التَّصَوُّر فقط، وهو سائر أدوات الاستفهام، وهذه جميعُها أسماء، وهي: (مَا – مَنْ – أَيٌّ – كَمْ – كَيْفَ – أَيْنَ – أَنَّى – مَتَى – أَيَّانَ)(١).

قد تخرج الهمزة عن الاستفهام إلى جملة من المعاني تُفهم من السياق، أبرزها:

الأول: التسوية، وهي الداخلة على جملة يصح حلول المصدر محلها، مثل: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾(٢).

الثاني: الإنكار الإبطالي، وهي التي تقتضي أن ما بعدها غير واقع، كقوله -تعالى-: ﴿أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ﴾(٣). ولذلك إذا دخلت هذه الهمزة على منفي لزم ثبوته؛ لأن إبطال النفي إثبات، كقوله -تعالى-: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾(٤).

الثالث: الإنكار التوبيخي، وهي التي تقتضي أن ما بعدها واقع وفاعله ملوم، مثل: ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا﴾(٥).

تنقسم أدوات الاستفهام قسمين:

(أ) حرفَا الاستفهام.

---

(١)محمد بن صالح بن محمد العثيمين، مختصر مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٧هـ)، ط١ ص: ٨.

(٢)سورة البقرة، من الآية (٦).

(٣)سورة الزخرف، من الآية (١٩).

(٤)سورة الشرح، الآية (١).

(٥)سورة الأنعام، من الآية (١٦٤).

(ب) أسماء الاستفهام.

أولاً: حرفَا الاستفهام: وهُما: الهمزة وهل.

الهمزة: وهي الأصل في باب الاستفهام وأمُّ أدواته: "واعلم أن أصل أدوات الاستفهام الهمزة؛ لأنها تأتي في الإيجاب والنفي، ويُستفهم بها عن التصور وعن التصديق، ولكونها أصل أدوات الاستفهام"[1].

وتختص بالآتي[2]:

(١) تُستعمل لطلب التصور، أي الاستفهام عن المفرد، ويكون جوابها بتحديد أحد الشيئين، ويأتي المسؤول عنه بعد الهمزة مباشرة، ولا بد أن تأتي بعدها (أم) المعادلة، ليعادل ما بعدها ما قبلها في ذهن السائل؛ نحو قولك:أمكة سافرت أم المدينة؟

(١) محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين،شرح تسهيل الفوائد، تحقيق د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، (هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، ط١،ج: ٤، ص: ١١٠.

(٢)ينظر: محمد عبد الخالق عضيمة،دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تصدير: محمود محمد شاكر. (القاهرة: دار الحديث)، ج: ٣، ص: ٤٨١، وأبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق د. فخر الدين قباوة – الأستاذ محمد نديم فاضل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م)، ط١، ص: ٣١، وابن مالك، شرح تسهيل الفوائد، ج: ٤، ص: ١١٠، وأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، الكليات.. معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش - محمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص: ٩٥٦.

(٢) تليها الجملة الاسمية أو الفعلية؛ نحو: أعليٌّ قرأ؟ أقرأ عليٌّ؟

(٣) أنها أصل أدوات الاستفهام الهمزة؛ لأنها تأتي في الإيجاب والنفي، ويُستفهم بها عن التصور وعن التصديق.

(٤) أنّ ما عدَا الهمزة نائب عنها.

(٥) أنها تُستعمل لطلب التصديق، أي الاستفهام عن حقيقة نسبة فعل أو صفة شخص معين، ويكون الجواب بـ (نعم) أو(لا) في الكلام المثبت، نحو: أصليتَ الوتر؟ أما إذا كان الكلام منفيًّا فيجاب عنه بـ (نعم) لتصديق النفي،وبـ (بلى)لتحويل النفي إلى إثبات؛وتأتي (بلى) في مجال الاعتراف بأمر خطير ذي شأن عظيم،كالواحدانية كما جاء في قول الحق -سبحانه-:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي ...﴾[1].

(٦) الهمزة لها الصدارة في الجملة على أحرف العطف،وأحرف الجر،وحرف التوكيد (إنَّ). همزة الاستفهام قد ترد لمعانٍ أُخر، بحسب المقام، والأصل في جميع ذلك معنى الاستفهام.

(٧) لا يجوز الفصل بين أدوات الاستفهام والفعل في غير همزة الاستفهام؛ فإنه يجوز معها الفصل.

(٨) يجوز حذف الهمزة إذا دلت عليها قرينة،كأن تأتي بعدها (أم) المعادلة.

(٩) تسقط همزة الاستفهام بعد همزة الوصل.

(١)سورة البقرة الآية (٢٦٠).

(١٠) إذا وقعت بعدها (أل) التعريف أُدغمت فيها وأصبحتَا همزة ممدودة، كما في قوله -تعالى-: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ...﴾[١].

(١١) إذا كانت همزة الاستفهام للتسوية تليها جملتان تفصل بينهما(أم) المعادلة المتصلة العاطفة ويصبح الأسلوب خبريًّا وغالباً تُسبق بكلمة (سواء)، كقوله -تعالى-:﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ...﴾[٢].

هل: غالب استعمالها مع الجملة الفعلية، وتختص بالتالي:

(١) تدخل على الجملة الفعلية والاسمية ما لم يكن خبرها فعلاً.

(٢) تُستعمل لطلب التصديق فقط.

(٣) يُستفهم بها في الإثبات.

(٤) إذا دخلت على المضارع صرفته للمستقبل.

(٥) لا تدخل على(الفاء) أو (الواو) العاطفة.

(٦) لا تدخل على(إنَّ) والمفعول به المقدم.

ثانياً: أسماء الاستفهام:

(١) مَنْ- من ذا: يُستفهم بهما عن العاقل غالباً.

(١)سورة يونس الآية (٥٩).

(٢)سورة يس الآية (١٠).

(٢) ما- ماذا: يستفهم بهما عن غير العاقل غالباً، وحقيقة الشيء أو صفته.

(٣) متى: يستفهم بها عن الزمان عامة.

(٤) أيّان: يستفهم بها عن الزمان والمستقبل في حال التعظيم والتفخيم.

(٥) أين: يستفهم بها عن المكان.

(٦) أنّى: وتأتي بمعنى أين.

(٧) كيف: يستفهم بها عن الحال.

(٨) كم: يستفهم بها عن العدد.

(٩) أي: يُطلب بها تعيين شيء ويستفهم بها للعاقل وغير العاقل.

المطلب الثاني: أغراض الاستفهام[1]

الغرض الأصلي للاستفهام هو طلب معرفة أمر لم يكن معلوماً عند الطلب، وقد يخرج الاستفهام إلى أغراض أُخر تُعلم من خلال السياق، منها:

الأول:الإنكار والمعنى فيه على النفي وما بعده منفي ولذلك تصحبه (إلا)، كقوله: ﴿فَهَلْ

(١)السيوطي، الإتقان في علوم القرآن،ج: ٣، ص: ٢٦٨-٢٧٣، ومحمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، شمس الدين، المعروف كوالده بـ «عقيلة»، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، تحقيق أصل هذا الكتاب مجموعة رسائل جامعية -ماجستير- للأساتذة الباحثين: (محمد صفاء حقي، وفهد علي العندس، وإبراهيم محمد المحمود، ومصلح عبد الكريم السامدي، وخالد عبد الكريم اللاحم)، (الإمارات: مركز البحوث والدراسات - جامعة الشارقة، ١٤٢٧ هـ)، ط١،و جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري،مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٥م)، ط٦، ص: ٢٧.

﴿يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾،﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾، وعطف عليه المنفي في قوله: ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ أي لا يهدي، ومنه: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾،﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ أي لا نؤمن،﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾،﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾، أي لا يكون هذا،﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾، أي ما شهدوا ذلك.

وكثيرًا ما يصحبه التكذيب وهو في الماضي بمعنى (لم يكن)، وفي المستقبل بمعنى (لايكون)، نحو: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ الآية، أي: لم يفعل ذلك،﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾أي: لا يكون هذا الإلزام.

الثاني: التوبيخ، وجعله بعضهم من قبيل الإنكار إلا أن الأول إنكار إبطال وهذا إنكار توبيخ، والمعنى على أن ما بعده واقع جدير بأن يُنفى، فالنفي هنا غير قصدي، والإثبات قصدي عكس ما تقدم، ويعبر عن ذلك بالتقريع أيضًا، نحو: ﴿أَلَا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾،﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾،﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾،وأكثر ما يقع التوبيخ في أمر ثابت ووبخ على فعله كما ذكر، ويقع على ترك فعل كان ينبغي أن يقع كقوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾،﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾.

الثالث:التقرير، وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده.

وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار، والإنكار نفي، وقد دخل على النفي، ونفي النفي إثبات، ومن أمثلته: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ﴾،﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ﴾.

الرابع: التعجب، نحو: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾،﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾.

الخامس: العتاب، كقوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾،﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾.

السادس: التذكير، وفيه نوع اختصار، كقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾.

السابع: الافتخار، نحو: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾.

الثامن: التفخيم، **نحو**: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾.

التاسع: التهويل والتخويف، **نحو**: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾،﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾.

العاشر: عكسه وهو التسهيل والتخفيف، **نحو**: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ﴾.

الحادي عشر: التهديد والوعيد، **نحو**: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

الثاني عشر: التكثير، **نحو**: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾.

الثالث عشر: التسوية، وهو الاستفهام الداخل على جملة يصح حلول المصدر محلها، نحو: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾.

الرابع عشر: الأمر، نحو: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ﴾ **أي: أسلِموا**،﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ **أي انتهوا**،﴿أَتَصْبِرُونَ ۗ﴾ **أي اصبروا**.

الخامس عشر: التنبيه، وهو من أقسام الأمر، نحو:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ أي: انظر.

السادس عشر: الترغيب، **نحو**: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ

نُنجِيكُم﴾.

السابع عشر: النهي، نحو: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾، بدليل: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾، ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ أي: لا تغتر.

الثامن عشر: الدعاء، وهو كالنهي إلا أنه من الأدنى إلى الأعلى، نحو: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّا﴾ أي: لا تهلكنا.

التاسع عشر: الاسترشاد، نحو: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾.

العشرون: التمني، نحو: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾.

الحادي والعشرون: الاستبطاء، نحو: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾.

الثاني والعشرون: العرض، نحو: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾.

الثالث والعشرون: التحضيض، نحو: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾.

الرابع والعشرون: التجاهل، نحو: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾.

الخامس والعشرون: التعظيم، نحو: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

السادس والعشرون: التحقير، نحو: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾، ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾، ويحتمله وما قبله قراءة: {مَنْ فرعون}.

السابع والعشرون: الاكتفاء، نحو: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

الثامن والعشرون: الاستبعاد، نحو: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾.

التاسع والعشرون: الإيناس، نحو: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾.

الثلاثون: التهكم والاستهزاء، نحو: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾،﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾.

الحادي والثلاثون: التأكيد لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله، كقوله: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾.

الثاني والثلاثون: الإخبار، نحو: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾[1].

المبحث الثاني

الاستفهام في قصة نبي الله نوح -عليه السلام-

المطلب الأول: بين يدي القصة

وفي زمن نوح وقع الطوفان على جميع الأرض، ونجاه الله ومن آمن من قومه في الفلك، فيكون أبًا ثانيًا للبشر؛ فالبشر كلهم يرجعون إلى أبناء نوح الثلاثة: سام، حام، ويافث، وهو أول رسول بعثه الله إلى الناس حسب الحديث الصحيح، وعُمِّر نوح تسعمائة وخمسين سنة على ما في التوراة، فهو ظاهر قوله -تعالى-: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[2].

وقد عرضت القصة في سورة (الأعراف)، في الخط التاريخي للرسل والرسالات بعد هبوط آدم من الجنة عرضًا مختصرًا، يتلخص في دعوته قومه إلى التوحيد، وإنذارهم عذاب

(١)سورة الإنسان، من الآية (١).

(٢)سورة العنكبوت الآية (١٤).

يوم عظيم، واتهام قومه له بالضلال، وتعجبهم من أن يبعث الله إليهم رجلًا منهم، وتكذيبهم له؛ ومن ثم إغراقهم ونجاته هو ومن معه من دون تفصيل.وعرضت في سورة (يونس) باختصار كذلك في نهاية رسالته؛ إذ تحدى قومه فكذبوه، ثم كانت نجاته ومن معه في الفلك، وإغراق الآخرين.وعرضت في سورة (هود) بتفصيل في قصة الطوفان والفلك وما بعد الطوفان كذلك من دعائه لربه في أمر ابنه الذي أغرق مع المغرقين؛ وما كان بينه وبين قومه قبل ذلك من جدال حول عقيدة التوحيد.وعرضت في سورة (المؤمنون)باختصار فذكر منها دعوته لقومه إلى عبادة الله الواحد، واعتراضهم عليه بأنه بشر مثلهم يريد أن يتفضل عليهم؛ ولو شاء الله لأنزل ملائكة، واتهامه بالجنون، ثم توجهه إلى ربه يطلب نصرته؛ وإشارة سريعة إلى الفلك والطوفان.

وهي تعرض في الغالب في سلسلة مع قصص (عاد، وثمود، وقوم لوط، وأهل مدين) – وكذلك هي في سورة الشعراء– وأظهر ما فيها دعوته لقومه إلى تقوى الله، وإعلانه أنه لا يطلب منهم أجرًا على الهدى، وإباؤه أن يطرد المؤمنين الفقراء الذين يستنكف منهم الكبراء، وهذا ما كان يواجه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في مكة سواء بسواء، ثم دعاؤه لربه أن يفتح بينه وبين قومه، واستجابة الله له بإغراق المكذبين وتنجية المؤمنين(١).

وأما في السورة المسماة باسمه ففيها تذكيرهم بالأجل المسمى، وطرق دعوته لقومه، وتنوع أساليبها سرًّا وعلانية،ليلاً ونهاراً، دون قنوط أو يأس ألف سنة إلا خمسين عاماً، يرغِّبهم فيها

(١)سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى : ١٣٨٥هـ)،في ظلال القرآن، (دار الشروق)

بطاعة الله، ويذكِّرهم بفضل الله عليهم وإحسانه إليهم.

وحكمة الله في ابتلاء خلقه سنة ماضية إلى يوم القيامة، بل إن أشد الناس بلاءً الأنبياء -عليهم السلام- ثم الأمثل فالأمثل، وجرى قدر الله على ابتلاء نبيه نوح -عليه السلام- في زوجته وابنه.

فأما زوجته فقد ضرب الله لها مثلاً في القرآن يتلى إلى يوم يقوم الأشهاد؛ حيث تولت نقل أخبار الدين الذي جاء به نوح إلى أعدائه، قال -تعالى-:﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ ...﴾[1].

وأما ابنه فقد لجأ إلى أهل الكفر هارباً من أبيه الذي استغرقه شفقة وحناناً، منعزلاً عنه، ومع ذلك فقد سأل ربه -عزوجل- أن ينجيه من عذابه، قال -تعالى-:﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا ..﴾[2].

وقد وردت قصة نبي الله نوح -عليه السلام- في عشر سور من القرآن المكي، وجاء الاستفهام في ست سور منها،كما هو في الجدول الآتي:

جدول تلخيص أسلوب الاستفهام في قصة نبي الله -نوح عليه السلام-

موضع الاستفهام	أداة الاستفهام	استعمال الأداة	غرض الاستفهام
الأعراف	الهمزة	التعجب والاستنكار للفعل.	استفهام إنكاري، تعجب

(١)سورة التحريم، الآية (١٥).

(٢)سورة هود، الآيات (٤٢-٤٥).

		تفخيم الفعل وتعظيمه.	وتوبيخ
هود	الهمزة من	الرد على منكري نبوة نوح –عليه السلام–. رد الشرك والدعوة إلى التوحيد. الاحتجاج على الناس بما لا يمكنهم دفعه.	استفهام إنكاري
المؤمنون	الهمزة	الأمر بالتقوى والدعوة إلى التوحيد ورد الشرك التحذير من مخالفة نبي الله –نوح عليه السلام–. الزجر والوعيد	استفهام إنكاري
الشعراء	الهمزة	الأمر بالتقوى والدعوة إلى التوحيد ورد الشرك	استفهام إنكاري بمعنى النفي
نوح –عليه السلام–	ما الاستفهامية الهمزة. كيف	إنكار استخفاهم بالله ورسالته ورسله. تنبيه المخاطبين وتذكيرهم بآيات الله في أنفسهم وآياته الكونية	استفهام إنكاري، تعجبي والتعظيم التفخيم

المطلب الثاني : الاستفهام في قصة نوح–عليه السلام– في سورة الأعراف

سورة الأعراف مكية النزول، وعدد آياتها (٢٠٦) آية على حسب العد الكوفي[١].

جاءت قصة نبي الله نوح في هذه السورة[٢]تعرض بعض ما قاله لقومه وردهم عليه؛ إذ ابتدأت القصة بقوله:﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا ...﴾[٣].

ثم ردهم استكباراً وعلوًّا:﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ...﴾[٤]، ثم رده عليهم بغاية الانتهاء في اللطف والسماحة: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ...﴾[٥]، وكيف ولماذا تعجبون من رجل يريد أن ينجيكم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام راجياً فوزكم برحمة الرحيم:﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ...﴾[٦].

الآية موضع الاستفهام:

(١)الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج: ١، ص: ١٩٣، وجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ)، ط١،ج: ٢، ص: ١٠٠، وأبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام ابن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ)، ط،١ج: ٢، ص: ٣٧٢، ومحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)،ج: ٨، ص: ٦.

(٢)الآيات (٥٩-٦٤).

(٣)الآية (٥٩).

(٤)الآية (٦٠).

(٥)الآيات (٦١-٦٢).

(٦)الآيات (٦٣-٦٤).

قوله -تعالى-: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

المعنى الإجمالي:

لما قال نوح -عليه السلام- لقومه:﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ قال سادة قومه:﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ متهمين إياه بالضلال، أجاب رادًّا عليهم:﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، ثم خاطبهم خطاباً زاجراً بقوله:﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ هل في دعوتي لله وإنذاري لكم من عقوبته راجياً هدايتكم ما يدعو إلى العجب والاستغراب.﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾: كيف تعجبون من حالة لا ينبغي العجب منها، وهو أن جاءكم التذكير والموعظة والنصيحة، على يد رجل منكم، تعرفون حقيقته وصدقه وحاله؟ "فهذه الحال من عناية الله بكم وبره وإحسانه الذي يُتلقى بالقبول والشكر، وقوله: ﴿لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: لينذركم العذاب الأليم، وتفعلوا الأسباب المنجية من استعمال تقوى الله ظاهرًا وباطنًا، وبذلك تحلُّ عليهم وتنزل رحمة الله الواسعة[1].

الدراسة:(أَوَعَجِبْتُمْ) فتحت الواو لأنها واو عطف دخلت عليها ألف الاستفهام للتقرير،

(١)عبدالرحمن بن ناصر السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م)، ط١،ج:٢، ص: ١٢٣.

وإنما سبيل الواو أن لا تدخل على حروف الاستفهام إلّا الألف لقوّتها.

وأصل التركيب: أعجبتم، فدخل حرف العطف(الواو)فكان الأصل أن يُقال:(وأعجبتم)، ولما كان الاستفهام له الصدارة في الكلام قدّمت الهمزة من تأخير فصار التركيب(أوعجبتم). وهمزة الاستفهام في قوله:(أَوَعَجِبْتُمْ) للإنكار، والتوبيخ والتهديد، وإلى هذا ذهب الفخر الرازي[1]، والآلوسي[2]، وأبو حيان بقوله: "وهذا مما لا ينبغي العجب منه؛ إذ له -تعالى- التصرف التام بإرسال من يشاء لمن يشاء"[3]، وهو قول أبي السعود[4]، والبيضاوي[5]، والمطعني[6].

(١)الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج: ٧، ص:١٥٩.

(٢)أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ه-١٩٩٤م)، ط١، ج: ٨، ص: ٣٩١.

(٣)البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف الشهير بـ «أبي حيان الأندلسي الغرناطي» (٦٥٤ - ٧٥٤ه)، دار الفكر للطباعة والنشر عام (١٤١٢ه-١٩٩٢م)؛ (٥/ ٨٤).

(٤)تفسير أبي السعود «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»،أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)،دار إحياء التراث العربي – بيروت(٣/ ٢٣٦).

(٥)تفسير البيضاوي «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»،ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥ هـ)،تحقيق:محمد عبد الرحمن المرعشلي،دار إحياء التراث العربي/ بيروت الطبعة:الأولى١٤١٨ هـ(٢/ ٣٤٤).

(٦)التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، الدكتور/ عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة/ القاهرة (١/ ٣٧٧).

المطلب الثالث: من سورة هود -عليه السلام-[1]

سورة هود -عليه السلام- مكية، وآياتها ثلاث وعشرون ومائة آية حسب العد الكوفي، محورها قضية الألوهية وتثبيت العقيدة في قلوب المدعوين، وقد كثر فيها الحوار بين رسل الله وأقوامهم، افتتحت بالتحدي وتمجيد القرآن تأكيداً على أنه منزل من حكيم حميد، ثم جاءت قصص الأنبياء تسلية للنبي محمد -صلى الله عليه وسلم-،فبدأت بقصة نبي الله نوح -عليه السلام-، ثم هود الذي سميت السورة باسمه، تلتها قصة نبي الله صالح ،ثم قصة إبراهيم ولوط ،ثم قصة شعيب، وختمت بقصة موسى وهارون -عليهما السلام-، ثم جاء التعقيب بما في القصص من المواعظ والعبر، ثم بيّنت أسباب النجاة من عقاب الله، وأخيراً ختمت السورة ببيان الحكمة من إرسال الرسل، وقد احتوت على أطول قصة لنبي الله نوح -عليه السلام- وفصلت فيها ما أجمل في غيرها من السور[2].

فقد فصلت الشبهات التي واجهها نوح -عليه السلام- والرد عليها شبهة شبهة.

أما الشبهة الأولى:ما نراك إلا بشراً..

والثانية: مانراك اتبعك إلا الذين[3]..

وأما رده على الشبهة الأولى فبقوله : أخبروني إن كنت ذا حجة وبرهان ورسالة حق لم تؤمنوا

(١)الشايع، أسماء السور، ص: ٧٩.

(٢)جاءت قصة نبي الله نوح في هذه السورة في الآيات (٢٥-٤٨).

(٣)الآية (٢٧).

بها كيف ألزمكم بها وأنتم لها كارهون؟﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ...﴾[1].

ثم يرد على الشبهة الثانية بقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ...﴾[2].

الشبهة الثالثة: شبهة اتهامهم له بالكذب، ويأتي الرد عليها بقوله: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى ...﴾[3].

الشبهة الرابعة:شبهة ابتغائه حظ نفسه،وأن الأمر كله لله بقوله:﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ...﴾[4].

الشبهة الخامسة: ادعاؤهم أن افتراه على الله، فيرد بقوله:﴿إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى ...﴾[5].

ثم تأتي القصة بالوحي الحاسم ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ...﴾[6]، وأتى بعده الأمر السماوي لنبي الله نوح بصنع الفلك ونهيه عن الرد على قومه إلى اللحظة الفاصلة:﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ...﴾[7]؛ثم يأتي حوار الأب الحاني لابنه:﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا ...﴾[8]،ثم يأمر الله

(١)الآية (٢٨).

(٢)الآيات (٢٩-٣٠).

(٣)الآية (٣١).

(٤)الآية (٣٤).

(٥)الآية (٣٥).

(٦)الآية (٣٦).

(٧)الآيات (٣٦-٣٩).

(٨)الآيات (٤٠-٤٢).

للحياة الطبيعية أن تعود بقوله:﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي ...﴾[1]،ثم الحوار الأخير والنداء الحاسم بقوله: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ...﴾[2]، ويرجع نبي الله نوح إلى الكريم معتذراً طالباً مغفرته: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ...﴾[3].

ثم تختم القصة بالهدف الذي سيقت من أجله وهو تسلية النبي بقوله: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ...﴾[4].

وقد تعددت أساليب الاستفهام في هذه السورة الكريمة؛ حيث بلغت ثلاثة مواضع كما تنوعت أغراضها حسب الموقف والهدف بين إنكار وتعجب، وتهكم، وتقرير،ونفي، وتنبيه..وغيره.

الآية الأولى: قوله -تعالى-:﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ (٢٨).

المعنى الإجمالي:

ذكر -تعالى- في هذه الآية الكريمة عن نبيه نوح: أنه قال لقومه: أرأيتم، أي: أخبروني إن كنت على بينة من ربي، أي: على يقين ونبوة صادقة لا شك فيها، وأعطاني رحمة منه مما أوحى

(١)الآية(٤٤).

(٢)الآيات (٤٥-٤٦).

(٣)الآية (٤٧).

(٤)الآية (٤٩).

إلي من التوحيد والهدى، فخفي ذلك كله عليكم، ولم تعتقدوا أنه حق، أيمكنني أن ألزمكم به، وأجبر قلوبكم على الانقياد والإذعان لتلك البينة التي تفضل الله علي بها، ورحمني بإيتائها، والحال أنكم كارهون لذلك؟ يعني ليس بيدي توفيقكم إلى الهدى وإن كان واضحًا جليًّا لا لبس فيه، إن لم يهدكم الله -جل وعلا- إليه.

وهذا المعنى صرح به -جل وعلا- عن نوح أيضًا في هذه السورة الكريمة بقوله: ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم الآية[1].

جمعت هذه الآية استفهامين الأول إقرار تمهيداً لما يأتي بعده من إنكار.

الاستفهام الأول: قوله -تعالى-: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: الاستفهام للتقرير والتنبيه، والمعنى: أخبروني ماذا أفعل، أرأيتم إن هداني الله وأضلكم أأجبركم على الهدى وأنتم كارهون له معرضون عنه[2]،فيكون الاستفهام للحمل على الإقرار، وهو الأنسب بمقام المحاجَّة، وحينئذ يكون كلامه -عليه السلام- جواباً عن شبهتهم التي أدرجوها في خلال مقالهم من كونه -عليه السلام- بشراً قصارى أمره أن يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعاً لشأفة آرائهم

(١)محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت: عالم الكتب)،ج: ٢، ص: ١٧٧

(٢)ابن عطية، المحرر الوجيز،ج:٣، ص: ١٦٤،وناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تفسير البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل-، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ)، ط١،ج: ٣، ص: ١٣٣.

الركيكة[1].

و﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ استفهام عن الرؤية بمعنى الاعتقاد. وهو استفهام تقريري إذا كان فعل الرؤية غير عامل في مفرد فهو تقرير على مضمون الجملة السادة مسد مفعولي (رأيتم)، ولذلك كان معناه آئلًا إلى معنى (أخبروني)، ولكنه لا يستعمل إلا في طلب من حاله حال من يجحد الخبر[2].

الاستفهام الثاني: قوله -تعالى-: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ **الهمزة** للاستفهام الإنكاري تكذيبي والمراد به النفي، وما بعده منفي؛ أي لا يمكنني أن أضطركم إلى المعرفة بها، لا نفعل ذلك لأنه لا إكراه في الدين[3].

الآية الثانية قوله -تعالى-: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٣٠).

المعنى الإجمالي:

من ينصرني:فيمنعني من الله إن هو عاقبني على طردي المؤمنين الموحِّدين الله إن طردتهم؟

(١)الآلوسي، روح المعاني،ج:٦، ص: ٢٤٠،وأبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى،إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود، (بيروت:دار إحياء التراث العربي)،ج: ٤، ص: ٢٠١.

(٢)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: ١٢، ص: ٥٦.

(٣)محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، (القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م)، ط١،ج: ٢، ص: ١١،وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)، ط٢، ج: ٩، ص: ٢٥.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، يقول: أفلا تتفكرون فيما تقولون: فتعلمون خطأه، فتنتهوا عنه[1]؟

الاستفهام الأول:قوله تعالى:﴿مَن﴾، اسم استفهام بمعنى تقرير وتوقيف، أي لا ناصر يدفع عني عقاب الله إن ظلمتهم بالطرد عن الخير الذي قبلوه، ثم وقفهم بقوله: أَفَلا تَذَكَّرُونَ وعرض عليهم النظر المؤدي إلى صحة هذا الاحتجاج[2].

والاستفهام إنكاري، والنصر: إعانة المقاوم لضد أو عدو، وضمن معنى الإنجاء فعدي ب (من) أي من يخلصني، أي ينجيني من الله، أي من عقابه، لأن طردهم إهانة تؤذيهم بلا موجب معتبر عند الله، والله لا يحب إهانة أوليائه[3].

وفرع على ذلك إنكاراً على قومه في إهمالهم التذكر، أي التأمل في الدلائل ومدلولاتها، والأسباب ومسبباتها.

الاستفهام الثاني: قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ما هو الأنفع لكم والأصلح، وتدبرون الأمور[4].إنكارا على قومه في إهمالهم التذكر، أي التأمل في الدلائل ومدلولاتها، والأسباب ومسبباتها.

---

(١)محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)، ط١،ج: ١٥، ص: ٣٠٢، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: ٣٨١.

(٢)ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج: ٣، ص: ١٦٥.

(٣)ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج: ١٢، ص: ٥٦.

(٤)السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: ٣٨١

والهمزة استفهام وإنكار انتفاء تذكرهم واستمرارهم في ضلالهم؛ والاستفهام هنا للنفي والإنكار(١).

المطلب الرابع: سورة المؤمنون

سورة المؤمنون مكية وعدد آياتها ثمانية عشر بعد المائة حسب العد الكوفي

تمحورت سورة المؤمنون حول تحقيق التوحيد الخالص لله عز وجل، وإبطال الشرك وهدم قواعده، وختمت بالبشارة لأهل الإيمان بالفلاح في الأولى والآخرة مجازاة لهم لأعمالهم الموجبة للفلاح والخلود في الفردوس التي تصدرت السورة ،كما عرضت قصصاً موجزةً لبعض الأنبياء تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ،وذكرت الأدلة القاطعة على البعث بعد الموت، وأشارت إلى بعض أهوال يوم القيامة.

وقصة نبي الله نوح في هذه السورة بدأت بما ابتدأت به في سورة هود ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ إلا أن الخطاب في سورة هود من الملأ الذين كفروا في قوم نوح، أما هنا فهو من بعض القوم (ما هذا إلا بشر مثلكم...؛وهذا سنة ماضية من الأقوياء المسكتبرين على الضعفاء المستضعفين واستحالة كون الرسل ملائكة وإنما هم بشر موحًى إليهم ويناجي نوح ربه بعد تكذيب قومه له.

والقصة في هذا الموضع من الذكر تبيّن الأثر السيء لتقليد الآباء الباطل، ويوحي الله إليه

(١)ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج: ١٢، ص: ٤٣.

بصناعة الفلك بعناية الله، فإذا حان الوقت المحدد فيسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهله إلا من سبق عليه القول منهم ،ثم إذا استوى على الفلك فليدع: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا...﴾[1]، وبهذا الدعاء أيضاً: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا...﴾[2].

قوله –تعالى–: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٢٣).

المعنى الإجمالي[3]:

قوله –تعالى–: (أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أفلا تخافون أن يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته إلى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها[4]، وهو زجر ووعيد باتقاء العقوبة لينصرفوا عما هم عليه من الشرك[5].

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ والهمزةُ لإنكارِ الواقعِ واستقباحِه[6]

وفرّع على الأمر بإفراده بالعبادة استفهام إنكار على عدم اتقائهم عذاب الله –تعالى–[7].

---

(١)الآية (٢٨).

(٢)الآية (٢٩).

(٣)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: ١٨، ص: ٤١.

(٤)البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ج: ٤، ص: ٨٥.

(٥)أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،ج: ٦، ص: ١٣٠.

(٦)الألوسي، روح المعاني،ج: ٩، ص: ٢٢٧.

(٧)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: ١٨، ص: ٤١.

سورة الشعراء:

آياتها سبع وعشرون ومائتا آية حسب العد الكوفي. وهي مكية، نزلت إثر طلب المشركين أن يأتيهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بخوارق.مقصودها: إثبات توحيد الله -سبحانه-. والخوف من عذاب الآخرة. والتصديق بالوحي المنزل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- . والتخويف من عاقبة التكذيب، إما بعذاب الدنيا الذي يدمر المكذبين، وإما بعذاب الآخرة الذي ينتظر الكافرين.

وقد وردت قصة نبي الله نوح في هذه السورة[1]مبتدئة بالحديث عن تكذيب قومه له:﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾... فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[2]، ثم رد القوم وإعراضهم منكرين كبرياءً منهم بقولهم:﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ...﴾[3]؛ثم يجيب متلطفاً متوداً: ﴿وَمَا عِلْمِى ...﴾[4]، ثم يأتي رد القوم متوعدين مهددين له بقولهم:﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ ...﴾[5]، هنا يتضرع نبي الله نوح إلى ربه الكريم بقوله:﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ...)[6]، ويستجيب الله لدعائه فينجيه ومن معه في الفلك

(١)ورت القصة في الآيات (١٠٥-١٢٢).

(٢)الآيات (١٠٥-١٠٧).

(٣)الآية (١١١).

(٤)الآيات (١١٢-١١٥).

(٥)الآية (١١٦).

(٦)الآية (١١٧).

المشحون.

الآية الأولى: قوله -تعالى-:﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٠٥، ١٠٦).هذه الآية تصدرت قصص الأنبياء في هذه السورة بعد قصة نبي الله موسى -عليه السلام-،وهي بمنزلة الإجمال في قول الحق -سبحانه- (المرسلين)، ثم يأتي التفصيل بعده بذكر قصص الأنبياء -عليهم السلام- هود، صالح، لوط، شعيب؛ وفي الإجمال تشويق للسامع وإثارة له وتهيئة لما يأتي بعده من التفصيل الذي به يستقر المعنى في النفس، ولفظ الجمع -المرسلين- ينبه على وحدة الهدف والمقصد الذي هو الإيمان بالله -وحده- وهو مقرر في قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ...﴾[1]،وقوله -تعالى-:﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...﴾[2].

والإيمان بجميع الرسل أصل من أصول الإيمان وركن من أركانه، فمن كذّب رسولاً واحداً فكأنما كذّب الرسل كلهم جميعاً كما قال -تعالى-:﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ...﴾[3]،وقال -تعالى-:﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ﴾[4].

أما قوله -سبحانه- في دعوة نبي الله نوح لقومه:﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ فهو أول التفصيل،ولفظ أخوهم للتأكيد على أنه عليه السلام أرسل إليهم بلسانهم، وهو من أرضهم

(١) سورة النحل الآية (٣٦).

(٢) سورة إبراهيم الآية (٤).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٣٦).

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٨٥).

ومن بينهم يعرفون شخصه وخلقه، وليس بغريب عنهم إذ مقتضى الأخوة المحبة والألفة والمعاشرة بالمعروف،فكأنه بهذا يقربهم إليه ويقترب منهم.

والاستفهام في قوله -تعالى-:﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ فإن الهمزة يجوز أن تكون للحث والتحضيض ويجوز أن تكون للنفي، فلما دخلت على (لا) النافية أثبتت الجملة بعدها.

قال الطاهر بن عاشور: "﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾: يجوز أن يكون لفظ ﴿أَلَا﴾ مركبًا من حرفين؛ همزة استفهام دخلت على (لا) النافية، فهو استفهام عن انتفاء تقواهم مستعمل في الإنكار وهو يقتضي.

امتناعهم من الامتثال لدعوته.

ويجوز أن يكون ﴿أَلَا﴾ حرفًا واحدًا هو حرف التحضيض، مثل قوله -تعالى-: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾[1]وهو يقتضي تباطؤهم عن تصديقه.

والمراد بالتقوى: خشية الله من عقابه إياهم على أن جعلوا معه شركاء.

وجملة:﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ تعليل للإنكار أو للتحضيض، أي: كيف تستمرون على الشرك وقد نهيتكم عنه وأنا رسول لكم أمين عندكم"[2]، معنى الحثِّ: تعجُّب من ترْك الفعل وإنكار يحمل معنى الأمر، أُنكِر عليكم ألاَّ تكونوا متقين، والمراد: أطلب منكم أن تكونوا متقين، وما

(١)سورة التوبة، الآية (١٣).

(٢)ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج: ١٩، ص: ١٥٨.

دُمْت قد أنكرت النفي فلا بُدَّ أنك تريد الإثبات[1].

الآية الثانية: قوله –تعالى -:﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾.

المعنى الإجمالي:

﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾؟ أي: قالوا كيف نتبعك ونصدّقك ونؤمن بك ونأتسى بهؤلاء الأراذلالذين اتبعوك؟ ومرادهم أن هذا لن يكون أبدًا وهذه شبهة لا ينبغي لعاقل أن يركن إليها؛ لأن نوحاً-عليه السلام- بعث إلى قومه كافة، لا فَارق بين غنى وفقير، وصعلوك وأمير، ولا بين ذوي البيوتات والحسب، وذوي الوضاعة والخسة في النسب، فليس له إلا اعتبار الظواهر، دون التفتيش والبحث عن البواطن، ومن ثم أجابهم:

﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ أي وأي شيء يعلمنى ما كان يعمل أتباعي؟ إنما لي منهم ظاهر أمرهم دون باطنه، فمن أظهر الحسن ظننت به حسنًا، ومن أظهر السوء ظنت به ذلك، ولم أكلّف العلم بأعمالهم، وإنما كلّفت أن أدعوهم إلى الإيمان والاعتبار به لا بالحرف والصناعات والفقر والغنى، وهم كأنهم يقولون إن إيمان هؤلاء لم يكن عن نظر صحيح. بل لتوقع مال ورفعة.

وقد ورد في هاتين الآيتين استفهامان.

﴿أَنُؤۡمِنُ لَكَ ﴾: وهو قول قوم نوح لنوح -عليه السلام-.

(١)محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، (القاهرة: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م)،ج: ١٧، ص: ٢١.

﴿وَمَا عِلْمِي﴾: وهوقول نوح -عليه السلام- لقومه.

لا خلاف بين الأئمة أن الاستفهام الأول للإنكار والاستبعاد المشروط أي : لا نؤمن لك وأتباعك الأرذلون.

أما الثاني فهو للنفي أي لا علم لي بما كان منهم.

الاستفهام في ﴿أَنُؤْمِنُ﴾ استفهام إنكاري، أي لا نؤمن لك وقد اتبعك الأرذلون فجملة: واتبعك حالية.

والأرذلون: سقط القوم الموصوفون بالرذالة وهي الخسة والحقارة، أرادوا بهم ضعفاء القوم وفقراءهم فتكبروا وتعاظموا أن يكونوا والضعفاء سواء في اتباع نوح.

وما علمي: أما معناه فهو استفهام مؤذن بأن قومه فصلوا إجمال وصفهم أتباعه بالأرذلين بأن بينوا أوصافًا من أحوال أهل الحاجة الذين لا يعبأ الناس بهم فأتى بالاستفهام عن علمه استفهاما مستعملًا في قلة الاعتناء بالمستفهم عنه، وهو كناية عن قلة جدواه لأن الاستفهام عن الشيء يؤذن بالجهل به[1].

سورة نوح - عليه السلام-

وهي مكية بإجماع[2]، وآياتها ثمانٍ وعشرون آية حسب العد الكوفي.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج: ١٩، ص: ١٦٠.

(٢) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تفسير الماوردي -النكت والعيون-، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية)،ج: ٦، ص: ٩٨، وابن عطية،

مقصودها: الدلالة على تمام القدرة على ما أنذر به في آخر سورة المعارج من إهلاك المنذرين وتبديل خير منهم ، ومن القدرة على إيجاد يوم القيامة الذي طال إنذارهم به وهم عنه معرضون وبه مكذبون وعنه لاهون ، وتسميتها بنوح -عليه السلام- أدل ما فيها على ذلك ، فإن أمره في إهلاك قومه بسبب تكذيبهم له في قصته في هذه السورة مقرر ومسطور.

وهذه السورة تفردت بذكر قصة نبي الله نوح -عليه السلام- فلم تذكر غيره، وتفردت أيضاً بابتدائها بأسلوب التأكيد،وتفردت كذلك بأمره -عليه السلام- بثلاثة أوامر(العبادة، وتقوى الله، والطاعة لنوح -عليه السلام-) بقوله: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا...﴾[1]، ثم يأتي السياق مبيناً طريقة دعوته لقومه بقوله: ﴿إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي...﴾[2]، ثم يعنفهم بعدم توقيرهم لله -تعالى- وعدم تقديره حق قدره لافتاً انتباههم إلى آيات الله في أنفسهم ثم آياته -تعالى- في الكون بقوله: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ...﴾[3]وبعده يشكو نبي الله نوح -عليه السلام- ربه عصيان قومه له

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج: ٥، ص: ٣٧٢، وابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج: ٨، ص: ،ابن علي بن أبي بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (القاهر: دار الكتاب الإسلامي)، ج: ٨، ص: ١٦٢، وأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ط٢،ج: ٨، ص: ٢٣١، و محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلميه، ١٤١٨هـ)، ط١،ج: ٩، ص: ٣٢٢ .

(١) الآيات (١-٤).

(٢) الآيات (٥-١٢).

(٣) ا لآيات (١٣-١٧).

بقوله: ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ...﴾[1].

ورد الاستفهام فيها في موضعين منها، وهما:

قوله –تعالى–: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾.

المعنى الإجمالي:

ما لكم لا تخافون لله عظمة، وذلك أن الرجاء قد تضعه العرب إذا صحبه الجحد في موضع الخوف[2].

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ إنكارٌ لأنْ يكونَ لهُم سببٌ ما في عدمِ رجائِهم لله –تعالَى– وقاراً على أنَّ الرجاءَ بمَعْنَى الاعتقادِ ولا ترجونَ حالٌ من ضميرِ المخاطبينَ والعاملُ فيهَا مَعْنَى الاستقرارِ في لكُم على أنَّ الإنكارَ متوجهٌ إلى السببِ فَقَطْ مع تحققِ مضمونِ الجملةِ الحاليةِ لا إليهما معاً كما في قوله –تعالى–:﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ و (لله) متعلِّقٌ بمُضْمَرٍ وقعَ حالاً مِنْ وقاراً ولو تأخرَ لكانَ صفةً لهُ أيْ أيُّ سببٍ حصلَ لكُم حالَ كونِكُم غيرَ معتقدينَ لله –تعالَى– عظمةً موجبةً لتعظيمِهِ بالإيمانِ بهِ والطاعةِ لهُ[3].

والاستفهام في قوله:(مالكم) .. استفهام إنكار أنكر عليهم استخفافهم بالله ورسالته إليهم

(١) الآيات (١٨–٢٨).

(٢) الطبري، جامع البيان،ج: ٢٣، ص: ٦٣٥.

(٣) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،ج: ٩، ص: ٣٨.

وإعراضهم عن الخوف منه والرجاء فيه، ويردف عليه من المعاني الثواني التقريع والتوبيخ والتجهيل[1].

والهمزة في (ألم تروا) للاستفهام التقريري مكنى به عن الإنكار عن عدم العلم بدلائل ما يرونه

والرؤية بصرية. ويجوز أن تكون علمية أي ألم تعلموا فيدخل فيه المرئي من ذلك[2].

الخاتمة

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير،والصلاة والسلام على من بعثه ربه -تعالى- شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أحمده على ما يسر وفتح من إتمام هذه الورقات في أسلوب الاستفهام في قصة نبي الله نوح -عليه السلام-

وبعد؛ فإن من أبرز نتائج هذه الدراسة ما يأتي:

أولاً: أن أسلوب الاستفهام في القصة يعتمد على موضوع السورة ومحورها الأساس.

ثانياً: من خلال دراستي لقصة نبي الله نوح -عليه السلام- تبيّن لي أنه كان يواجه قومه ويجاهدهم من أجل أمرين عظيمين:

الأمر الأول: التوحيد، والدعوة إلى عبادة الله -وحده-، ومحاولة إرجاعهم إلى الفطرة التي

(١) التفسير البلاغي للاستفهام، ج: ٤، ص: ٣٠٠.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج: ٢٩، ص: ٢٠٢.

خلق الله الخلق عليها وأشهدهم على ذلك، ثم اجتالتهم الشياطين ليشركوا فتفرقوا واختلفوا كما قال الله -تعالى-:﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ...﴾[1]،وهذا الانحراف في الفطر ممتد عبر العصور كلها، وهو عين ما واجهه نبي الرحمة -صلى الله عليه وسلم- ومَنْ انتهج نهجه واتبع سنته إلى يوم الدين؛ ومن هنا كان حري بالدعاة أن يقتدوا بأنبياء الله وسلكوا سبيلهم.

الأمر الثاني: جهاده ونضاله ضد الطبقية والعرقية والعنصرية التي واجهته ونظرة عِلية القوم له ولأتباعه، وهو ما جاء في سور: هود، والمؤمنون، والشعراء.

ثالثًا: أكدت قصة نبي الله نوح -عليه السلام- أن المرتكز لجميع العلاقات الحميمة العقيدة السليمة، من خلال حواره مع ابنه ثم بيان الله -عز وجل- له بأنه ليس من أهله؛ إذ هو ليس على دينه، وما قبل التوحيد الذي جاء به أبوه، وهو ما قرره النبي -صلى الله عليه وسلم- في غير ما موقف، وفيه قرآن يُتلى إلى قيام الساعة:﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ...﴾[2].

رابعاً : أثبتت القصة أن نبي الله نوحًا-عليه السلام- أنموذجٌ يُحتذى للداعية الصابر الصامد الحريص على إنقاذ قومه من الضلال والغواية إلى الهداية والرشاد، من خلال مدة دعوته قومه، وتنوع أساليب الدعوة، التي ختمها بالبشارة ثم المناقشة بالأدلة العقلية والكونية عن طريق لفت الانتباه. بقوله:﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ...﴾.

أن القصة في القرآن الكريم من أبلغ وأمتع أساليب الدعوة إلى التوحيد، وبخاصة تلك

(١) سورة البقرة، الآية (٢١٣).

(٢) سورة الحجرات، الآية (١٣).

القصص التي يغلب عليها أسلوب الحوار والمحاجة.

خامساً: أن الاستفهام في القرآن لترسيخ وتأكيد معنى في النفس تجاه قضية بعينها نفياً أو إثباتاً.

سادساً: أنّ غالب الاستفهامات في قصة نبي الله نوح غرضها الإنكار الذي هو في معنى الذم أو النهي أو النفي، وإن تصدرها.

سابعاً: أن معنى التقرير والإنكار ملازماً لحرف الاستفهام الهمزة غالباً مضافاً إليه معنًى آخر. أن أسلوب الاستفهام غالباً متوجهاً إلى الكفرة والعصاة؛ لأنه أسلوب استحثاث للفطرة وإثارة للوجدان.

أما أهم التوصيات التي تحصّل عليها الباحث في دراسته فهي كالآتي:

- تكرُّر النداء في قصة نبي الله نوح. أرى أن يُفرد في دراسة خاصة أقترح أن يكون عنوانها: **(النداء في قصة نبي الله نوح .. دراسة أسلوبية تفسيرية)**.
- كما تكرر الحوار في قصة نبي الله نوح مرة مع قومه وأخرى مع ابنه وثالثة مع ربه. في نظري لو أُفرد الحوار في بحث أقترح أن يكون عنوانه: (الحوار في قصة نبي الله نوح -عليه السلام- تفسيراً هدائيًّا).

هذا، والله -تعالى- أسأله التوفيق والتسديد. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.